

المعاني المدلولة على لفظ "ضالا" في سورة الضحى

MEANINGS OF THE WORD "ASTRAY" IN SURAH AL-DUHA

Muhammad ShoaibArabic Departmen Peshawar University
Khanshuaib402@gmail.com**Dr. Dost Muahmmad**Lecturer Arabic Department, Islamia College University Peshawar
dost@icp.edu.pk**ABSTRACT**

The research paper focuses on the term which deal with the connotation (دلالة مفهوم) "Astray" (الضال) in surah-al-duha (سورة الضحى) by the method followed in this research "Qualitative and Descriptive "This term is one of the mutual manifestation terms that inclusive on more than one meanings.This research is subjected to stress for discussing the different meanings of this term in the Holy Qur'an, that the Holy Qur'an's use of the terms is unique since it is the statement of the Allah almighty. The nature of this paper desired to predicates and depends on the books of Holy Quran explanation in addition to the related theories which help in the determination and interpretation of the different meanings of this term. The research includes also a conclusion and result that the researchers has reached.

Keywords: significances, Astray, Declarative ingeniousness, Quran, surah-al-duha,

عند الرجوع إلى التفاسير القرآنية، والمعجمات اللغوية نجد أن الجذر "ضالا" من الألفاظ التي لها معاني متنوعة في السياق القرآني، ومن الحقيقة الواضحة أن الاستعمال القرآني له خصوصية من الناحية اللغوية لكونه كلام عزوجل. ومن المعلوم أن لفظ "ضال" بصيغته المختلفة قد استعمل في معان مختلفة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم لكن المقصود في البحث هو بيان معاني لفظ "ضالا" (الذي ورد في سور الضحى) في ضوء التفاسير الرائعة القديمة والحديثة، وأما أهداف البحث هي بيان أسرار وروعه في تحقيق المعاني القرآنية. فهذا أسلوب بديع يتميز به موضوع البحث في دراسة "دلالات لفظ "ضالا" في سورة الضحى. ويعتمد الباحث على المصادر الأساسية من المعاجم اللغوية، والمصادر البلاغية، والتفاسير المعتبرة وخاصة على التفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى ب "تفسير البيضاوي" للإمام صر الدين البيضاوي، وتفسير الكشاف للزمخشري لأن هؤلاء المفسرين قد إستوعبوا جوانب أسرار هذا الموضوع بيا جليا في تفاسيرهم للقرآن العظيم ، ولهذا كانت تفاسيرهم كالدليل لهذا البحث يقتبس منها الضوء في دربه. ويشمل البحث أيضا على النتائج التي توصل اليها الباحثين ومنهج البحث تحليلي تطبيقي فيما يلي تفاصيله.

أسباب نزول سورة الضحى:

وهذه السورة الكريمة مكية تفاق العلماء، نزلت بعد إنقطاع الوحي مدّة، وفي سبب نزوله أقوال مختلفة منها:

أولا- أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: "اشتكى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يَقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل اللهُ: (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ، وَمَا قَلَى)"¹.

ثانيا- وأخرج سعيد بن منصور والفرابي عن جندب قال: "أبطأ جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال المشركون: قد ودع محمد، فنزلت"².

ثالثاً-أخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: "مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك" فأنزل الله: وَالضُّحَىٰ.. الآية³. قال ابن حجر العسقلاني: ⁴ " أن قول أم جميل وخديجة واحد لكن أم جميل قالته للإهانة والاستهزاء وأما ما قالته خديجة فهو توجعاً⁵ وخلاصة القول خر الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال بعض الكفار أن ودعه وقلاه فنزلت هذه الآية.

تعريف لفظ: ضال" في اللغة:

مادة (ض،ل،ل) من المضاعف ، في اللغة تدل على المعنى الواحد، وهو ضياع الشيء، الضلال والضلالة بمعنى: العدول عن الصواب والحق. وأصل الضلال المشي والسير من غير بصيرة ، ثم استعير هذا اللفظ لمن زال عن سبيل الرسول؛ ف قيل لمن يكفر عن دين الإسلام: ضال، وللفاسق مثله؛ ثم جعل اسماً للعقاب على الفسق والكفر. وفي رواية ابن ماجه: قال صلى الله عليه وسلم: «استقيموا، ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»⁶ أستعمل هذا اللفظ "ضلل و مشتقاته" في القرآن المجيد في واحد وتسعين ومئة موضعاً(191) منها بصيغة الفعل في سبعة عشر ومئة(117) موضعاً، و نذكر واحد منها على سبيل النموذج فمن قوله تعالى: "ومن يتبدل الكفر لإيمان فقد ضل سواء السبيل"⁷ وكذلك بصيغة "الاسم" في أربعة وسبعين موضعاً (74) ونذكر واحد منها على سبيل النموذج أيضاً: فمن قوله سبحانه وتعالى: "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال"⁸ معاني لفظ (ضلل) وما اشتق منه في مواضع مختلفة في القرآن الكريم منها:

* الضلال بمعنى الصد عن الهدى:

و ذلك في قوله تعالى "ولأضلنهم ولأمنينهم.....إلخ"⁹ أي: ولأصدن النصيب المفروض الذي أتخذه من عبادك عن محجة الاسلام الى الكفر وعن الهدى الى الضلال الهدى إلى

الضلال.

* الضلال بمعنى الخسران:

وهي في قوله تعالى "وما كيد الكافرين إلا في ضلال" ¹⁰ أي: في خسران .

* الضلال بمعنى الذهاب عن الحق:

وهي في قوله سبحانه وتعالى: "ما نزل من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير" ¹¹ أي ذهاب عن الحق وبعيد عنه.

* الضلال بمعنى إبطال العمل:

وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "الذين كفروا وصدوا عن سبيل أضل أعمالهم" ¹² أي: أبطلها، ومثاله في ما قاله تعالى في سورة الفيل: "ألم يجعل كيدهم في تضليل" ¹³ أي: جعل عملهم في تضييع وإبطال، لأنهم أرادوا بيت لهدم والتخريب.

* الضلال بمعنى الخطأ:

ومنه قول عز وجل: "فلما رأوها قالوا إ لضالون" ¹⁴ يعني: أخطأ السبيل الذي وقع عليه البستان.

* الضلال بمعنى النسيان:

وذلك في قوله تعالى في آية المداينة في سورة البقرة: "أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى" ¹⁵ قال ابن عاشور: ¹⁶ "الضلال هنا معناه النسيان".

* الضلال بمعنى الجهل:

ومنه قوله عز وجل: "قال فعلتها إذا وأ من الضالين" ¹⁷ أي حين كنت في جهل عن تحريم ارتكاب القتل، فنفى الكفر عن نفسه.

خلاصة القول: إن مادة (ضلل) ومشتقاتها وردت في القرآن على عدة معان؛ وأكثر ما وردت هذه المادة بمعنى الضلال المقابل للهدى، وأما ما وردت هذه المادة في سورة الضحى في آية: "ووجدك ضالا فهدى" ما نسب إلى الرسول صلى عليه وسلم فلا يجوز أن يحمل على إحدى معنى من هذه المعاني لأن الأنبياء معصوم قبل النبوة وبعده، لذلك سوف نجمع

المعاني المدلولة على هذا اللفظ (المورود في الضحى المنسوب إلى الرسول صلى عليه وسلم) من التفاسير المعتمدة حسب التفصيل الآتي:

المعاني المدلولة على لفظ "ضالا" في سورة الضحى

1- ووجدك يتيما:

وجدك ضالا أي: وجدك يتيما فسخر لك من يحنو عليك ويقف بجانبك في السراء والضراء كما أشار إليه صاحب التفسير الميسر: "لم نجدك يتيما ومات أبوك قبل ستة أشهر من ولادتك، وأنت حمل في بطن أمك فرعاك وآواك؟¹⁸

2- عد العلم عن الشرائع والأحكام التي لا تهتدي إليها العقول:

أي: ووجدك وعلمك عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول وإنما طريقها وسبيلها هو السماع، فهداك إلى مناهجها وطرقها. وذلك من خلال ما أوحى إليك من الكتاب المبين، وعلمك ما لم تعلم.¹⁹

3- ووجدك غافلا عن معرفة أصح العقائد فهداك إليها:

ووجدك غافلا عن أحكام الشرائع ، ومعرفة العقائد الصحيحة، فهداك إليها، ويؤيده قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِ ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادٍ " (20)

4- ووجدك غافلا عن قدر نفسك وشأنك:

أي: كنت لا تعرف قدر نفسك شأنك فهداك إلى معرفته، وخلع عليك خلع نبوته ورسالته ليدل بهما على وحدانيته وقربته.²¹ وقد قال رسول صلى عليه وسلم: "ليس الغنى كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس " ²² .

5- ووجدك ضالاً عن معالم النبوة:

أي كنت غافلاً عما يراد بك من أمور النبوة والرسالة، ولم تكن تدري قدر القرآن فهذا إلى القرآن، وشرائع الإسلام، ويؤيده قوله تعالى: " مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ " 23 .

6- وجدك متحيراً في بيان من نزل عليك فهذاك إليه

ووجدك متحيراً في بيان الكتاب، فعلمك مناهج البيان ، وهي كقوله تعالى: "لتبين للناس ما نزل إليهم" 24، وقوله تعالى أيضاً: " لتبين لهم الذي اختلفوا فيه " 25 , فيكون الضال بمعنى متحير .

7- ووجدك كشجرة منفردة في فلاة من الأرض:

الشجرة الوحيدة في فلاة من الأرض التي لا شجر قريباً معها، يسمونها العرب ضالة، فيهدى بها إلى الطريق، فقال تعالى لنبيه محمد صلى عليه وسلم: ووجدك ضالاً أي لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إلى. 26

8- ووجدك على أمر قوم أربعين عاماً فهذاك:

ووجدك على نهج قومه أربعين عاماً (قبل النبوة) وهم في إضلال مبين فأرسلك إلى هدايتهم. (من بعد أربعين عاماً)

9- وجدك زائلاً وضائعاً في قومك فهذاك إليه.**10- ووجدك ذا عيال لا مال لك:**

وجدك ذا عيال لا مال لك فأغناك بنفع التجارة في مال خديجة الكبرى رضي عنها، وبما أعطاك الله القناعة والبركة. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس" 27. وفي صحيح البخاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وفتّعه الله بما آه» 28 .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: "أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى" قال: كانت هذه منازل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعثه الله عز وجل، ثم أمره ربه ببعض الأخلاق الاجتماعية وبشكره على هذه النعم²⁹

11- وجدك محبا للهداية فهداك إليها

ويكون الضال هنا بمعنى محبا للهداية و يؤييده قوله عز وجل حين قال أبناء يعقوب عليه السلام لأبيه لما ذكر ابنه يوسف فقالوا: "قالوا " إنك لفي ضلالك القديم"³⁰ أي في محبتك، قال الشاعر:

"هذا الضلال أشاب مبي الفرقا ... والعارضين ولم أكن مُتَحَقِّقًا
عَجَبًا لِعِزَّةِ فِي اخْتِيَارِ قَطِيعِي ... بعد الضلال فحبُّها قد أخلقًا"³¹

12- ووجدك " ضالا " بين القوم الغارق في الجاهلية:

ووجدك " ضالا " بين قوم سيطرت عليهم " الجاهلية " وأنت تتلمس طريق الهدى:
فعصمك من جاهليتهم، وأعدك لتكون رسوله إلى العالمين على غرار قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ } (الشورى: 52).³²

13- ضلت في شعاب مكة وأنت صيبا:

فيه ثلاثة أقوال: الأول ما قال ابن عباس: إن رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه، فرده إلى جده عبد المطلب، والثاني ما قال سعيد بن المسيب: خرج رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فيبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس فأخذ بزمام قته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، ورد رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القافلة فمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ،³³

14- ووجدك نسياً، فهداك إلى الذكر.

ومثاله ما قال تعالى: "أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى" وبه قال ثعلب في الكشف والبيان عن تفسير القرآن.³⁴

15- ووجدك ضالاً عن علم الوحي والإلهام:

قال الامام صر الدين البيضاوي "فهدى فعلمك لوحي والإلهام والتوفيق للنظر".³⁵

16- عدم الإهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود.

ضالاً يكون بمعنى عدم الإهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقاً آخر يبلغ الى غير المقصود أم وقف حائراً لا يعرف أي طريق يسلك وهو المقصود هنا فالمعنى "أنك كنت متحيراً في حال أهل الشرك من قومك فإراكمهم غير محمود. وهنا ليس المراد إطاعة الباطل لأن الانبياء معصوم قبل النبوة تفاق العلماء، ولم يختلف أحد من أصحابنا أن الرسول صلى عليه وسلم لم يصدر عنه ما يناه عن أصول الدين قبل رسالته، ولم يزل علماء يجعلون ما تواتر من حال إستقامته عن الرزائل قبل نبوته دليلاً من جملة الأدلة على رسالته بل قد شافه القرآن به المشركين بقوله "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"³⁶ وبقوله: "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ"³⁷ ولأنه لم يوتر أن المشركين أفحموا النبي صلى عليه وسلم فيما أنكر عليهم من مساوي أعمالهم ن يقولوا فقد كنت تفعل ذلك معنا.³⁸

17- لا على الطبيعة البشرية التي هي النفس الأمارة بالسوء:

أي ما وجدك على الطبيعة البشرية التي هي النفس الأمارة لسوء، فهداك لعقل قبل الوحي لكتاب.³⁹

نتائج البحث:

لفظ "ضال" من ألفاظ المشترك اللفظي الذي له معاني متنوعة، وشغل مساحة واسعة من النسيج القرآني، وورد هذا اللفظ مع مشتقاتها في القرآن على عدة معانٍ؛ منها بمعنى الضلالة ضد الهداية، وجاءت بمعنى الصد عن سبيل الحق، والذهاب عن طريق الحق،

والخسران، والهلاك، والغفلة وإحباط العمل، والخطأ، والجهل، والنسيان. لكن عند التدقيق والتحقيق هذه المعاني كلها- ترجع إلى أصل المادة لغة وأما المعاني المصطلحة المدلولة على اللفظ "ضالا" في سورة الضحى فهي ليس كذلك ولا يليق نسبتها إليه (صلى عليه وسلم) بدليل أن الانبياء معصوم قبل النبوة وبعدها تفاق العلماء، ولم يختلف أحد من أصحابنا أنه لم يصدر عنه ما يناهز عن أصول الدين قبل رسالته فلا يدل على وجود ضلالة فعلية ولا على وجود جهل فعلي، لذلك في البحث استخرجنا عدة معاني اللفظ "الضال" من التفاسير، وهي التي ما يناسب مع ذات رسول صلى عليه وسلم إذ تجاوز سبعة عشر معنى، فما كان فيه من خير فمن وحده، وما كان فيه من النقص فمن ومن الشيطان، فنسأل المغفرة وله الحمد على كل حال.

الهوامش

1 - أبو عبيد، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى،

1422هـ: رقم الحديث: 4983

2 - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح المسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان: رقم

الحديث: 114

3 - أبو عبد الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية - بيروت: رقم

الحديث: 3945

4 - أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم

والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته لقاها. ولع لأدب والشعر ثم أقبل على

الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة

الثامنة - ط)، و (لسان الميزان - ط)، و (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ) و (ديوان

- شعر - خ) رأيته في الاسكور ل (الرقم 444) وطبع في الهند، (-الأعلام للزركلي، دار الثقافة، مصر، الطبعة الأولى 1387 هـ: ج1، ص178)
- 5- أبو الفضل العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت لبنان ، رقم الحديث:4951
- 6 - أبو عبد محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية:ص277
- 7 - سورة البقرة: 108
- 8 - سورة الرعد: 14
- 9 - سورة الغافر: 2
- 10 - سورة الغافر: 25
- 11 - سورة الملك: 9
- 12 - سورة محمد: 1
- 13 - سورة الفيل: 2
- 14 - سورة القلم: 26
- 15 - سورة البقرة: 182
- 16 - محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (شا). ولي قضاءها سنة 1267هـ ثم الفتيا (سنة 1277) فنقابة الأشراف وتوفي بتونس. له كتب، منها التحرير والتنوير(الأعلام للزركلي:6:173)
- 17 - سورة الشعراء: 20
- 18 - نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ: ج1، ص596
- 19 - مجموعة من العلماء شراف مجمع البحوث الإسلامية لأزهر ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الطبعة الأولى، 1393هـ: ج10، ص1948
- 20 - سورة الشورى: 42

- 21 -- أبو محمد سهل بن عبد بن يونس بن رفيع التستري، التفسير التستري، دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1423 هـ: ج1، ص197
- 22 -- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه مكتبة الإيمان - المدينة المنورة
الطبعة: الأولى، 1412: ج1، ص332
- 23 سورة الشورى: 52
- 24 - سورة النحل: 44
- 25 - سورة النحل: 64
- 26 -- أبو عبد محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: ج20، ص99
- 27 مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم الحديث: 120، ص726 ج2
- 28 - محمد بن إسماعيل أبو عبد البخاري، صحيح البخاري: رقم الحديث: 6446
- 29 - محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، جامع البيان في ويل القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ: ج22، ص349
- 30 - سورة يوسف: 95
- 31 - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان: ج6، ص295
- 32 - محمد المكي الناصري التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، 1405 هـ: ج6، ص435
- 33 - علاء الدين علي بن محمد بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف لخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ: 4: 439

- 34 -- أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ: ج10، ص222
- 35 - صر الدين أبو سعيد عبد بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ: ج5، ص319
- 36 - سورة يونس: 16
- 37 - سورة المؤمنين: 69
- 38 - الطاهر ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس
سنة النشر: 1984هـ: ج30، ص393
- 39 -- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دَرْجُ الدُّررِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1429 هـ، ج2، ص716